الفصل التاسع

الماسونية بين شعوب أندونيسيا

أندونيسيا فى قبضة الاستعمار الهولندى:

أندونيسيا هى إحدى دول جنوب شرق آسيا وتعتبر أكبر الدول الإسلامية فى العالم من حيث تعداد السكان. وتشير بعض الآثار إلى أن التجار المسلمين وصلوا إلى شواطئ سومطرة (Sumatra) منذ عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، وأن وجودهم هناك وصل إلى درجة أنهم أصبحوا فى سنة ١٣٥٦/٧٥٨م يسيطرون على مدينة كانتون (Canton). وتعود أولى الكتابات والنقوش التى تركها المسلمون فى جاوه (Jauach) إلى بدايات القرن الحادى عشر الميلادى. إلا أن حكام أندونيسيا لم يكونوا قد دخلوا فى الإسلام حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين بعدها أصبح الإسلام هو الدين الرسمى لهذه البلاد.

ولم يكن هناك فاصل زمنى كبير فى انتشار الإسلام فى أندونيسيا وتعرض هذه البلاد ومواجهتها للاستعمار الغربى، فعندما توجه البرتغاليون إلى هذه البلاد كطلائع أولى للاستعمار الغربى. كانت أرض أندونيسيا الكبرى قد قسمت قبل ذلك إلى عدة قطاعات وولايات يحكم كل منها حاكم مستقل. وفى بداية القرن السابع عشر الميلادى توجه الهولنديون صوب هذه المنطقة وتمكنوا من طرد البرتغاليين، حيث بدأ الاستعمار الهولندى أعماله أولا فى سنة ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م فى إطار شركة الهند الشرقية (الهولندية، ولكن منذ سنة ١٢١٤هـ/ ١٧٩٩م) أصبحت الحكومة الهولندية تفرض سيطرتها على أندونيسيا بشكل مباشر، وظلت القوات الاستعمارية الهولندية تسيطر على هذه البلاد حتى الأربعينات من القرن العشرين فيما عدا فترة زمنية قصيرة. وفى النهاية أثمر الكفاح المستمر الذى خاضه شعب أندونيسيا فى سبيل الاستقلال فى سنة ١٣٢٨/١٩٤٩س. ومنذ ذلك العام أصبح اسم هذه البلاد الولايات المتحدة الأندونيسية (Uanted State of Indonesia)(١).

الماسونية بين هولنديى أندونيسيا:

هدفت فى هذا القسم من البحث هو إلقاء نظرة عابرة على النشاط الماسونى فى أندونيسيا. فهذه البلاد كانت طوال عدة قرون تحت النفوذ الاستعمارى الهولندى ولأن الماسونية إنما لم تقم ولا تقوم بأى خطوة إلا فى إطار الاستغلال الاستعمارى وتحكيمه فقد

قامت الماسونية من تلقاء ذاتها فى أندونيسيا بلعب دور فى مسار المخططات الاستعمارية الهولندية. ولقد تأسست الماسونية أولا فى هولندا نفسها فى سنة ١١٤٣/١٧٣٠ ولم يمض كثير وقت حتى توقفت عن العمل لكنها استأنفت نشاطها فى سنة ١١٧٠/١٧٥٦ كجماعة قومية وطنية، وبعد هذا التاريخ بستة أعوام كاملة أى فى سنة ١١٧٦/١٧٦٢ تأسس أول محفل ماسونى فى مدينة باتافيا (Batavia) عاصمة الهولنديين فى أندونيسيا تحت اسم (La Chaisie) «المختار» وقد جاء تأسيس هذا المحفل نتيجة لجهود رادرماشر (J.C.M. Radermacher) (١١٥٤-١١٩٨/١٧٤١-١٧٨٣) وهو ينسب إلى عائلة هولندية عريقة وبارزة، وكان أبوه كذلك من الماسون حيث كان أول شخص يحظى بلقب «أستاذ أعظم» فى هولندا وكان مؤسس الماسونية الاندونيسية وهو لا يزال فى سن السادسة عشرة كتاجر شاب بشركة الهند الشرقية الهولندية وارتحل إلى أندونيسيا وعن طريق زواجه بابنة أحد كبار الموظفين المشهورين فى الشركة المذكورة وذاع صيته وتضاعفت شهرته يوما بعد يوم وفى سنة ١١٧٥/١٧٦١ حصل على لقب «تاجر بارز» ولم يستمر المحفل الماسونى الذى أسسه رادماشر لفترة طويلة وربما كان ذلك بسبب ذهابه إلى هولندا لفترة قصيرة، لكن لم يمض وقت حتى تم تأسيس محفل آخر باسم (Lafidele Sincérité) (الصحيح المستقيم الثابت القدم) ولأنه تم اختيار اللون الأزرق كشعار لهذا المحفل فقد اشتهر باسم «المحفل الأزرق» ولأن اعضاء هذا المحفل كانوا فى الغالب من البحارة ورجال الجيش قام كبار الموظفين فى شركة الهند الشرقية الهولندية وملاك الأراضى الهولنديين الأغنياء فى أندونيسيا بتأسيس محفل آخر مستقل فى سنة ١١٨٢/١٧٦٨ باسم «La Vertueuse» (الزاهد) وكان يطلق عليه أيضا اسم «المحفل الأخضر ونحن نعلم أنه حيثما نشطت القوى الاستعمارية تجد الماسونية كإحدى الظواهر والمؤسسات الوليدة للحضارة البراجوازية الغربية المزدوجة تنشط هى الأخرى من تلقاء نفسها. وقد بدأت حركة الماسوثية فى أندونيسيا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى أعقاب سلسلة من المتغيرات والتطورات والظروف التى لا يمكن بحثها فى إطار استغلال وتمكين الاستعمار الهولندى. وقد حدثت حالات زواج وتمازج كثيرة على مدى سنوات طويلة بين الهولنديين وشعب أندونيسيا كان من نتيجتها ظهور عدد من الشعب النصف أسيوى – والنصف أوروبى فى هذه البلاد. وكان هؤلاء يبتعدون شيئا فشيئا فى الثقافة الأوروبية متأثرين بمناخ الثقافة المحلية الذى يعيشون فيه، إلى درجة أنه وكما كتب جين تيلر (Jean Gelman Taylar) فإن أغلب التلاميذ فى مدارس شركة الهند الشرقية الهولندية كانوا لا يستطيعون فهم اللغة الهولندية ولهذا استخدمت فى هذه المدارس لغات أخرى ومنها اللغة المالاوية (Malay)(٣) وكان هناك من مديرى شركة الهند الشرقية الهولندية من بذل جهودا مضنية لمنع انتشار سيطرة الثقافة الآسيوية فيما بين الأهالى نصف الأوروبيين – ونصف الآسيويين كان على رأسهم أحد أكبر مديرى هذه الشركة

ويدعى إيمهاف (Imhoff) فقد قام خلال فترة مأموريته وإدارته فى أندونيسيا (١١٥٦-١١٦٤/١٧٤٣-١٧٥٠) بسلسلة من الاصلاحات فى هذا المجال وأحيا الثقافة الهولندية بين الهولنديين وتابعيهم وكذلك بين التابعين للشركة فى أندونيسيا.

أيضا خلال العقود الأخيرة من فترة تواجد شركة الهند الشرقية الهولندية قام عدد من المهاجرين الهولنديين فى باتانيا كذلك بخطوات واسعة فى سبيل نشر ثقافة عصر التنوير، وهناك مجالين من مجالات النشاط الذى قام به «رادماشر» يقومان كدليل على مثل هذا الفكر فى أندونيسيا أحدهما تأسيس «أكاديمية باتاويا للعلوم والفنون» (Batavian Academy of Arts and Sciences) والآخر ظهور محفل الماسونية ومؤسساتها(٤).

ومن الواضح أن الخطوات التى كان يتخذها كل من إيمهاف ورادماشر كان كل تركيزها على أن تكون لصالح المخططات الاستعمارية الهولندية لأنه إذا كان الهولنديون وأيضا الأوروبيين وأنصاف الآسيويين قد ظلوا على وفائهم للثقافة الهولندية وتابعين لها وما تحولوا إلى الثقافة الأندونيسية لكانوا أصبحوا من تلقاء أنفسهم محافظين على حالتهم الاستعمارية نيابة عن الاستعمار الهولندى وذلك تجاه السكان المحليين والشعب الأندونيسى ولما ظهر أى نقصان أو تقصير أو فشل فى المخططات الاستعمارية الهولندية. ولهذا فإن الماسونية الأندونيسية التى كانت تحاول جاهدة المحافظة على التبعية للثقافة الهولندية مستمرة كانت رغبتها الراسخة تتركز على استمرار سيطرة الاستعمار الهولندى على بلاد أندونيسيا وشعبها.

وخلال مسيرة النشاط الذى مارسته تلك المحافل الماسونية الثلاثة التى ذكرناها آنفا كانت هناك اتجاهات أيضا مناهضة للماسونية ومضادة لها من قبل بعض آخر من كبار موظفى الشركة الهولندية ولأن هذه الصراعات كانت قوية وواسعة النطاق فقد احتفلت المحافل الماسونية هناك بمكان عقد جلساتها واجتماعها سريا وأضفته عن العامة ولكن فى عقد الثمانين من القرن الثامن عشر أخذت الخاصة إلى إخفاء مثل هذه الجلسات تتلاشى شيئا فشيئا. وذلك لأن عدداً كبيراً من كبار موظفى الشركة الهولندية انضموا كذلك إلى عضوية المحافل الماسونية، فعلى سبيل المثال انضم جوهانس سيبرك (Johannes Siberg) صهر التينكر (Alteing) الحاكم العام لأندونيسيا فى سنوات (١١٩٤-١٢٠٩/١٧٨٠-١٧٩٧)، وكذلك فإن أوفرشتراتن (P.G. Van Overstaten) سكرتيره الخاص إلى طائفة الماسون وقد أصبح هذان الماسونيان البارزان نفساهما الحاكم العام لأندونيسيا فى سنوات (١٢١٢-١٢١٦/١٧٩٧-١٨٠١) و(١٢١٦-١٢٢٠/١٨٠١-١٨٠٥) على التوالى.

وقد وصل عدد «الأخوة» الأعضاء الأغنياء وأصحاب الأموال فى طائفة الماسونية إلى الدرجة التى استطاعوا معها جمع أموال بما قيمته ١٢ ألف دولار. وتمكنوا بها من بناء مبنى

خاص لـ «المحفل الأصفر» وقد وضع حجر الأساس لهذا المبنى فى بداية العام ١٢٠١/١٧٨٦ وبحضور ممثلى الحكومة وعدد كبير من مشاهير باتانيا. وفى نفس هذا التوقيت قام سبعة عشر شخصاً من الماسون البارزين بتأسيس محفل آخر فى مدينة سمارانك (Semarany) كان فى ذلك الوقت ممثل قاعدة إدارية وقيادة لجيش السواحل الشمالية الشرقية لجاوه. وقد صار حاكم تلك المنطقة ومديرها هو أول «أستاذ جدير بالاحترام» (Worshipful Master) لهذا المحفل.

وقد ظهرت مصاعب كثيرة ومشاكل جمة للماسون خلال فترة حكم داندلس (Daendels) الذى امتد من سنة ١٨٠٨/١٢٢٣ فى سنة ١٨١١/١٢٢٦. ومع أن ڤيور (Veur) الخبير فى تاريخ الماسونية الأندونيسية يرجح أن داندلس نفسه كان ماسونيا إلا أنه بسبب الشك والظن فى أن الماسون الهولنديين قد أصبحوا من أنصار إنجلترا فقد قام ليس فقط بمصادرة وثائق الماسونية فى العام ١٨١١/١٢٢٦ بل قام كذلك بإحالة عدد من الأعضاء البارزين فى الماسونية كانوا من كبار موظفى الحكومة من مناصبهم وقام باعتقالهم، وقد قام جانسنز (Janssens) الحاكم الذى خلفه بإطلاق سراح هؤلاء الماسون وفى أعقاب ذلك قام السيد انجلهارد (Englehard) بتأسيس محفل بالقرب من بوجر (Bogor) واستمر هذا المحفل فى ممارسة أنشطته الماسونية حتى سنة ١٨١٥/١٢٣٠. وهذا المحفل هو الذى تم فيه استقبال مينتو (Minto) العالم الإنجليزى على بلاد الهند والذى كان هو الآخر من الماسون كما قبل هذا المحفل أيضا فى عضويته نائبه رافلز (Raffles) الذى كان يحكم أندونيسيا أيام سيادة الإنجليز وسيطرتهم عليها(٥). وفى مجمل القول علينا أن نقول إن عدد أعضاء الماسونية خلال السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر والسنوات الأولى من القرن التاسع عشر لم يكن يتعدى الخمسة والستين عضواً.

لقد كان النشاط الماسونى ونشاط الماسونية محدوداً طوال فترة طويلة بنطاق ثلاث قواعد أوروبية أساسية فى منطقة جاوه. وقد اتحد المحفلان الماسونيان فى باتافيا سنة ١٨٣٧/١٢٥٢ ليصيرا محفلاً واحداً يسمى باسم مُحفل «نجمة الشرق» (Desterinhet Dosten)، بينما فى عام ١٨٧٠/١٢٨٧ كانت حركة الماسونية قد علا شأنها ومن ذلك التاريخ بدأت بتأسيس محافل أخرى فى أغلب المدن الكبرى والمهم فى جاوه وفى عدد آخر من المراكز والقواعد الأساسية للأوروبيين مثل سو مطرة وسلب، أو سولاوس (Sulawese). واستمرت هذه المحافل الماسونية تمارس أنشطتها بشكل مستقل حتى نهاية القرن التاسع عشر ومن الأشخاص الذين قاموا بخطوات فى سبيل تدعيم المنظمات والجمعيات الماسونية فى أندونيسيا شخص يدعى كاربينتر آلتينك (A.S. Carpentier Alting) وكان فى السابق مديرا لمجلة ماسونية تصدر فى هولندا. فقد استطاع فى سنة ١٨٩٥/١٣١٣ وبمساعدة عدد من الماسون المنفذين أن يقوم بإصدار ونشر مجلة ماسونية وأن يضع من خلال معلومات كثيرة حول الماسونية بين أيدى

الماسون وغير الماسون وأن يقرب العلاقة ويوطدها فيما بين الماسون الأندونيسي. هذه المجلة ظلت تنشر على الأقل حتى عام ١٣٣٤/١٩٥٥. فعقب صدور هذه المجلة حدث أن عقدت جلسة عامة من قبل جميع المحافل الأندونيسية فى باتافيا فى سنة ١٨٩٧/١٣١٥، وتم خلال العام ١٨٩٩/١٢١٧ تأسيس «المحفل الأعظم للولاية».

بعد ذلك بدأت مسألة العضوية فى الماسونية يعلو شأنها وتأخذ فى الانتشار. حيث وجدنا فى سنة ١٨٩٨/١٣١٢ أن أكثر من ٥٦٧ ماسونيا يعيشون فى جاوه ويقيمون فيها وارتفع عددهم فى سنة ١٣١٩/١٩٤٠ش إلى ١٠٧١ عضواً كما وصل عدد الأعضاء فى محافل سلب وسومطرة إلى ١٩١ عضواً. ولدينا قوائم كثيرة وصلت إلى أيدينا تثبت أن التابعين للمحافل الماسونية كانوا دائما فى الأزمنة والأماكن من العلماء والمشهورين وكبار الموظفين فى الجهاز الحكومى الاستعمارى الهولندى فى أندونيسيا، وتحوى القائمة الخاصة بسنوات ١١٧٤-١٢٧٧/١٧٦٠-١٨٦٠ ما يقرب من ألف ومائتين اسم وتدل على أنه طوال هذه السنوات كان حوالى ثمانية من الحكام العموميين وثلاثة من كبار قادة الجيش وخمسة من كبار ملاك الأراضى وعدد كبير من الكتاب كانوا جميعا من الماسون. وقد كان الماسون على علاقة وثيقة مع (أكاديمية باتافيا للعلوم والفنون) التى ذكرناها من قبل والتى أسسها الماسون رادماشر. وطوال السنوات ١١٩٣-١٢٧٠/١٧٧٨-١٨٥٣ تم اختيار أربعة عشر مديراً لرئاسة هذه الأكاديمية كان منهم خمسة مديرين على الأقل من الماسون، وخلال نفس هذه السنوات تقريبا كان من المعتاد أن يتم اختيار ثلث أعضاء مجلس إدارة هذه الأكاديمية من الماسون.

الماسونية بين أهالى أندونيسيا المحليين:

ننتقل الآن إلى كيفية مواجهة أهالى أندونيسيا وشعبها الماسونية، وكيف تعاملوا معها، فعلى الرغم من أنه لم يكن هناك أى مانع قانونى أمام المحليين الأندونيسيين والصينيين المقيمين فى أندونيسيا والذين كان عددهم كبيراً وكانوا ذوى نفوذ كبير وواسع وخاصة فى المجالات الاقتصادية لكى يكونوا أعضاء فى المحافل الماسونية فإن أحداً منهم لم يدخل إلى طائفة الماسون حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر. بعدها تم قبول عدد كبير من الأغنياء والتابعين لطبقة الأشراف والطبقات العليا فى المجتمع الأندونيسي فى عضوية المحافل الماسونية. بشكل عام فإن الهولنديين الأندونيسيين لم يهتموا بشكل أساسى بالاختلاط مع الشرقيين بدرجة كبيرة، وكان الهدف من تواجد الماسونية فى باتافيا فى حقيقة الأمر هو منع حدوث أى اختلاف بين الثقافة الأوروبية مع الثقافة الأندونيسية المحلية. ومما يثبت هذه الحقيقة بوضوح الأسلوب الذى واجه به الماسون الهولنديين طلباً للعضوية تقدم به رجل صينى، فقد كان أول صينى يقيم فى أندونيسيا وكان من منتجى السكر ومثل طائفة الصينيين فى سورابايا (Surabayi) ويدعى يدى بون كه (Boen Keh). فقد تقدم فى سنة

١٨٥٦/١٢٧٣ يطلب للانضمام إلى عضوية الماسونية، لكن القائمين على الماسونية أبدوا فى البداية فتوراً وعدم قبول لهذا الطلب واحتجوا على ذلك بأن مفاهيم الخير والشر والسر والعهد والحياة والموت هى مفاهيم لها مدلول ثابت ومستقر ومغاير لدى الصينيين ولا يتوافق بالكلية مع نظرة الفرنسيين لمثل هذه المفاهيم.

ولكن بعد ذلك بسنة واحدة وبعد أن قامت لجنة خاصة بمراقبة أفعال هذا الرجل الصينى وتصرفاته تم قبول طلبه للعضوية فى الماسونية ولاقى هذا الطلب رداً إيجابياً، وبعد أن تم قبوله فى الماسونية طلب السيد بون كه أن يتم توضيح مراسم الماسونية وتقاليدها ودستورها له باللغة المالاوية – وكانت اللغة الأندونيسية تسمى كذلك فى بداية الأمر – لكن طلبه هذا قبول بالرفض وتم إبلاغه بأنه سوف يكون من الأسهل عليه أن يتعلم اللغة الهولندية بدلاً من أن يعرف تقاليد الماسونية باللغة المحلية. هذا الرد على رغبته هذه من جانب الماسون، وكذلك التصريح باختلاف المفاهيم بين الأوروبيين والصينيين يثبت بشدة رغبة مؤسسى الماسونية على أساس أوروبى فى الحفاظ على المناخ الثقافى الهولندى فى أندونيسيا. على أى حال كان انضمام سكان أندونيسيا المحليين إلى الماسونية أمراً ممكناً. كان أول شخص مسلم أندونيسي ينضم إلى الماسونية يدعى عبد الرحمان (؟) (Abdul Rachman) وقد أصبح ماسونياً فى سنة ١٨٤٤/١٢٦٠، وكان من أحفاد سلطان ناحية بونتياناك (Pontianak)، وفى نفس التوقيت انضم إلى الماسونية أيضا مصور مشهور فى منطقة جاوه ويدعى رادن صالح (Raden Saleh). وفى سنة ١٨٧٥/١٢٩٢ قبل المحفل الماسونى فى مدينة يورا بايا عدداً آخرْ من المشاهير الأندونيسيين فى عضويته. ونلاحظ بين الذين تقدموا لعضوية الماسونية اسم السلطان كوتى (Kutei) وثلاثة من أبنائه وقد امتنع المعنيون فى البداية عن قبول عضويتهم وذلك لأن أحد هؤلاء الأمراء الثلاثة كان قد أكد «لأستاذ المحفل» بأنه لو أمره محفل الماسونية بأن يلطخ يده بدم الآخرين فإنه لن يعصى هذا الأمر أبدا لكن عندما قال أمراً آخر فى معرض دفاعه عن أخيه إن مثل هذا التعبير إنما يقوله الشرقيون لإثبات الإيمان العميق بقواعد وتقاليد الماسونية، تم قبول طلبهم وأصبحوا من الماسون.

ويبدو أن فكرة إبعاد الشرقيين عن المحافل الماسونية لم تستطع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن تستمر كما كانت فى السابق، وقد اتضحت هذه المسألة فى سنة ١٨٤٩/١٢٨٦ أثناء الاحتفال بالذكرى المئوية على تأسيس رسمى لمحفل ماسونى فى فاتافيا. فأثناء ذلك قال المتحدث الأساسى فى الحفل إن هدف الماسونية ورغبتها الأكيدة تتمثل فى أن تختلط الأعراف والأجناس الشرقية المختلفة مع بعضها حتى يصبحوا إخوة مع بعضهم بعضا. ولكن مثل هذا النوع من التحرر فى مجال الماسونية كان محدوداً ومقيداً من الناحية العملية، وذلك لأنهم احتجوا بأن مثل هذا الأمر يحتاج إلى فترة طويلة من الزمن

ويجب المضى فى هذا الأمر بنفس الأسلوب البطيء الذى تدور به الكرة الأرضية. ومع هذا كله، فإنه بمرور الوقت ظهرت نظرية أخرى؛ ففى سنة ١٩١٧/١١٣٦ فى الاحتفالات الخاصة بإحياء ذكرى تأسيس الماسونية تم التصريح بأن الماسونية لا يمكن أن تكون موفقة فى مساعيها إلا إذا تأسست محافل لأهالى أندونيسيا والصينيين المقيمين بها أو أن يقوموا هم أنفسهم بتأسيس محافل ماسونية منفصلة خاصة بهم وأثناء ذلك تم الإيعاز بوضوح شديد للمتنورين الماسون بأنه لا يمكن استخدام اللغة الهولندية فى مثل هذه المحافل الماسونية. وتشير قوائم ومسودات الأعضاء المحليين فى الماسونية خلال سنوات (١٩٢٢-١٩٤٠/١٣٠١-١٣١٩ش) إلى أنه لم يكن هناك عدد كبير من هؤلاء الأعضاء قد دخلوا الماسونية بعد وأن عدد هؤلاء الأعضاء المحليين فى سنة ١٩٤٠/١٣٣٩س لم يكن قد تخطى ٥٠ مواطناً اندونيسياً و١٤ صينياً. لكن جميع هؤلاء الذين انضموا إلى الماسونية حتى ذلك التاريخ كانوا جميعا من الوجوه والشخصيات الأندونيسية البارزة وقد عد بعضهم من مؤيدى الماسونية الحقيقيين وكبار مشجعيها.

ففى سنة ١٣٠٦/١٩٢٧ش ظهرت نظرية بوربو هادينينجرات (R.M. Poerbo Hadiningrat) نائب سلطنة سمارانج فيما يتعلق بالماسونية ورأيه فيها، وبعد موته نشرت هذه النظرية على الملأ، وفيما أورده فى هذا الصدد كان يعتبر فى الحقيقة ممثلا لرأى الطبقات العليا فى جاوه ووجهة نظرها فى الماسونية. فقد ذكر فيما أورده أسباب انضمامه إلى الماسونية وشرحها للجاويين الماسون وغير الماسون؛ حيث قال إنه عندما وصل إلى سن الرشد والتمييز انجذب بشكل أكثر إلى المعرفة الروحية ذلك لأنه كان يحس بالفراغ وعدم الرضا، وفى النهاية دلته مشورته ومناقشاته مع معارفه الماسون إلى أن ينضم إلى الماسونية. كذلك شرح هادينتجرات فى هذا البيان كيفية وطريقة دخوله لعضوية الماسونية بشيء كبير من التبجيل حيث قال «لقد قام الماسون بتعصيب عيناى وأخذونى وسطهم؛ ولقد قلت لهم بكل صدق إن الشيء الوحيد الذى ساقنى إليكم ودلنى عليكم هو رغبتى وأملى فى الارتفاع بشأنى وشأن أمتى وشعبى. وعندما رفعت العصابة من فوق عيناى رأيت حولى رجالا يدعوننى بالـ «أخ» وأخذوا يشدون على يدى ويصافحوننى ورأيت نفسى فى تلك اللحظة فى علاقة خفية غير مرئية وقوية ومتينة مع الماسون». ورغم هذا النوع من التصريحات المتعاطفة من جانب الوجهاء والمشاهير الأندونيسيين الذين كانوا يتعاونون فى الغالب مع الجهاز الاستعمارى، إلا أن أهالى هذه البلاد العاديين الذين كانوا يجثم على أنفاسهم وأكتافهم الضغوط الحقيقية للاستعمار والممارسات المجحفة من جانب القوى الاستعمارية كانت لهم ردود فعل مختلفة فقد أبدوا رد فعل متشدد ورفضوا بشدة وأظهروا سوء الظن فى مواجهة حركة الماسونية ونشاطاتها. وبين أيدينا وثيقة تعود إلى سنة ١٢٧٦هـ/١٨٩٥م تثبت أن الجاويين كانوا يطلقون على مبنى المحفل الماسونى وما

يحيط به باسم «بيت الشيطان». بما أن الحضارة الغربية البرجوازية قد تزامنت وتراقفت مع ازدواجية الاستعمار والعلم والمعرفة فإن الماسونية التى تعد من المؤسسات الفاعلة فى هذه الحضارة تعمل من ذاتها فى إطار هذه الازدواجية.

فالنشاط الماسونى فى أندونيسيا الذى كان يسير فى اتجاه المخططات الاستعمارية الهولندية لم يتراجع أيضا عن النشاط فى مجال العلم والمعرفة. وقد ذكرنا آنفا أن الماسون هم الذين قاموا بتأسيس «أكاديمية باتافيا للعلوم والفنون» حتى تتمكن نشر العلوم والثقافة الأوروبية المتقدمة فى ذلك الوقت بين الأوروبيين التابعين للجهاز الاستعمارى الهولندى. ومنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر اتسع نطاق توجه الماسونية الأندونيسية إلى أنشطة اجتماعية – تعليمية. وفى نفس هذا التوجه قام الماسون بإنشاء مكتبات صغيرة، جمعيات لمحاربة الربا وأماكن لإيواء اليتامى. ومن الأنشطة الأخرى التى مارستها المحافل الماسونية فى إطار نظرية العلم والمعرفة (العلمانية) التابعة للحضارة البرجوازية الغربية تأسيس سلسلة من المعاهد والمدارس التعليمية. كان الهدف منها فى الحقيقة تعليم الأطفال الأوروبيين. إلا أن كثيراً من تلك المدارس والمعاهد التابعة للمحافل الماسونية فى يوجتاكارتا (Yogyakarta)، مالانج (Malang) وبادانج (Padang) كانت تقبل كذلك تلاميذ أندونيسيين من أبناء البلاد. حتى أن المؤتمر الذى عقد فى سنة ١٣٢٩/١٩١١ قام فيه أحد الماسون المشهورين ويدعى نوتوديروجو (Notodirodjo) بالمناداة بوجوب تعليم الجاويين المشهورين والوجهاء منهم.

الماسونية بعد ثورة أندونيسيا:

طوال الحرب العالمية الثانية حيث قامت اليابان باحتلال أندونيسيا، تم إغلاق جميع المحافل الماسونية، كما تم اعتقال أغلب أعضائها الهولنديين والصينيين، ورغم وقوع هذه الأحداث وبعد أن أعقبها أيضا ثورة التحرير التى قام بها الشعب الأندونيسي ضد الاستعمار الهولندي استمر عدد من محافل الماسونية فى حدود العشرة تمارس نشاطها وذلك فى المناطق التى كانت لازالت تحت سيطرة الهولنديين. ولكن «محفل أساتذة الولايات الماسونية» أدرك شيئاً فشيئاً أن هناك تغييرات سياسية جذرية وعميقة آخذة فى التشكل فى أندونيسيا، ولهذا أدرك الماسون الهولنديون فى أندونيسيا فى سنة ١٣٢٧/١٩٤٨ش أن الحاجة أصبحت ملحة لافتتاح محافل ماسونية باللغة المحلية والقومية، وفى أعقاب ذلك، أقدموا على تأسيس مثل هذا النوع من المحافل كأول خطوة لمواجهة مثل تلك التغيرات. وقد أصبح أحد الماسون المحليين الأندونيسيين ويدعى نجارا (Tjondro Negora) والذى كان نائباً السلطنة على سمارايخ، أصبح مكلفا بالقيام بدراسة حول هذه الخطة. وبعد أن جمع المذكور المعلومات حول هذا الموضوع حذر من أنه من الممكن أن يفهم من مثل هذا الإجراء أن هناك رغبة فى خلق نوع من الانفصالية وأن ينظر إليه كما لو كانت الحكومة الهولندية الاستعمارية تريد على هذا الأساس أن تقسم أندونيسيا إلى عدة دول فيدرالية. لكن القائمين على هذه الخطة من

الماسون لم يلتفتوا إلى هذا التحذير واعتبروه غير ذى بال واتفقوا فى سنة ١٣٢٨/١٩٤٩ش على أن يتخذوا خطوات فى هذا السبيل على النحو التالى:

١- بقدر الإمكان يجب أن تتم دعوة المواطنين الأندونيسيين إلى العضوية فى المحافل الماسونية.

٢- يجب تأسيس محافل ماسونية مستقلة يكون أغلب أعضائها من المواطنين الأندونيسيين.

٣- أن تتألف مجموعة هذه المحافل مع بعضها البعض حتى تؤسس فيما بينها محفلاً مركزياً مستقلاً يشملها جميعا.

وفى تاريخ ٢٧ ديسمبر ١٣٢٨/١٩٤٩ش تم إعلان استقلال أندونيسيا وأصبح سوكارنو (Soekarno) رئيس الجمهورية الأندونيسية. وفى هذه الأثناء طلبت «لجنة تنفيذية» بالنيابة عن «محفل أساتذة الأقاليم الماسونية» لقاء سوكارنو، وقد حدث اللقاء بالفعل فى يوم الثالث من مارس ١٣٢٨/١٩٥٠ش واستغرق ساعة كاملة. وقد أعرب سوكارنو عن سعادته بلقاء ممثلين عن الماسونية، وقال إنه سمع وقرأ عن الماسونية موضوعات ومواقف كثيرة من وجهة نظر سلبية. ومن وجهة نظر فيور فإن مثل هذا التصريح قد اعتبر مقدمة لما فعله نظام سوكارنو بالماسون فى أندونيسيا بعد هذا التاريخ بعشر سنوات(٧). ولكن على أى حال فقد تحدث أعضاء «اللجنة التنفيذية» خلال هذا اللقاء مع سوكارنو حول «الأهداف السامية» للماسونية وقاموا بتسليم عريضة حول البرامج والأخلاقية والإنسانية استناداً للمادة ٢، ٣ من دستور الماسونية بعدها قام الرئيس بتوجيه سلسلة من الأسئلة حول الماسونية وقام الماسون بالإجابة عليها.

هذه الأسئلة وما جاء عليها من ردود وإجابات لم تكن بالقدر الذى توضح معه الأمور على حقيقتها أو تستحق البحث أو المناقشة ولكن يجب أن نضع فى الاعتبار أن مثل هذه الأسئلة قد طرحت من قبل شخص كان يعتبر أول حاكم أندونيسي مستقل كانت بلاده تعيش لقرون تحت نير المستعمرين الهولنديين، لأن أسئلة سوكارنو تثبت أسلوبه فى مواجهة مؤسسة كانت تسير بشهادة التاريخ فى اتجاه الاستغلال الاستعمارى الهولندى، ونرى أنه من الجدير هنا أن نورد هذه الأسئلة وإجاباتها للقراء الأعزاء:

سوكارنو: هل الماسون يؤمنون بنظرية وحدة الوجود (Pantheistically) أم التوحيد (Monotheistisally)؟

الماسون: فى الماسونية مكان مفتوح لكلا الاتجاهين فى عبادة الله، وعلى أى حال، فإن الإيمان القائم بالخالق القادر المطلق هو الحاكم.

سوكارنو: هل تقبلون فى الماسونية أى إنسان ملحد؟

الماسون: من المستبعد أن ينضم إلينا مثل هؤلاء الأشخاص.

سوكارنو: هل الماسون يؤمنون بالدين؟

الماسون: إن المعتقدات الدينية لأى شخص هى موضع احترامنا ونحن لا نتبع ديناً خاصاً أو مذهباً بعينه ومن الواضح أننا لسنا كذلك من الملحدين.

سوكارنو: لماذا يعتقد الناس أن الأغنياء وحدهم والأثرياء هم الذين يقبلون فى عضوية الماسونية؟

الماسون: من الواضح أن هذا الرأى أصبح هو السائد لكنه ليس صحيحاً على الإطلاق.

سوكارنو: هل صحيح أن الماسون يساعدون ويساندون بعضهم بعضا دائما.

الماسون: إننا عبء أن نساعد «أخاً ماسونياً» لكننا لا نرجح أبداً مساعدة عضو ماسونى على مساعدة شخص غير ماسونى يحتاج أكثر للمساعدة، وأضافوا أيضا أن الماسونية لن تتدخل فى الشئون السياسية والدينية.

سوكارنو: لماذا لا يزال شعب أندونيسيا وأهاليها يطلقون على محفل الماسونية «بيت الشيطان»؟

الماسون: لأن الماسونية لها جانب سرى ومازال هذا الجانب مستمراً حتى الآن ونحن نحاول أن نزيل هذا الجانب.

وقد ظلت فكرة تاسيس محافل ماسونية لأهالى اندونسيا المحليين مستمرة حتى قام ٢٥ شخصا من مواطنى أندونيسيا الماسون فى ٣١ ديسمبر ١٣٣٠/١٩٥١ ش بعقد جلسة واتفقوا على أن يؤسسوا محفلاً ماسونياً باسم «ألفا وأوميجا» (Puhwo duk sina) كما قاموا باختيار السيد جوندوكوسومو

(S. Gondokoesoemo) الذى كان نفسه ماسونيا ويشغل فى نفس الوقت منصب وزير شئون الأراضى «أستاذا جديرا بالاحترام» لكنه مات بعد ذلك بثلاثة أشهر وتم اختيار ماسونى آخر فى مكان يدعى بور بونجا (A. Soemitro Kotopaking poerbonegoro) وكان من عائلة عريقة تشغل أفرادها مناصب نائب السلطنة وكان لها مكانتها فى طائفة الماسون خلال فترة زمنية طويلة، والمذكرات الشخصية لهذا الشخص تصوره شخصية جديرة بالكتابه وتصور حياته مليئة بالاضطراب. فقد تخرج بوربونجارا هذا من المدرسة الثانوية الهولندية فى باتاديا سنة ١٣٢٥/١٩٠٧ وظل فترة طويلة يزاول عمله فى هولندا وألمانيا وأسبانيا ثم التحق بجامعة ليدن (Leiden) بهولندا، وعاد إلى أندونسيا فى سنة ١٣٣٣/١٩١٤، ودرس فى مجال الشرطة والأمن ثم التحق بخدمة الشرطة، وفى سنة ١٣٣٨/١٩١٩ انضم فى باندونج

إلى طائفة الماسون وأصبح بعد أبيه نائبا للسلطنة لإحدى المناطق فى سنة ١٣٠٥/١٩٢٦ ش والجدير بالذكر أنه أثناء اندلاع الثورة الأندونيسية، وبعد أولى العمليات التى قام بها الهولنديون، اشترك فى حرب العصابات فى جاوه الوسطى، وبعد الثورة أصبح فى سنة ١٣٣٤/١٩٥٥ ش عضوا فى البرلمان الأندونيسى. وعلى أى حال فقد تم خلال السنوات ١٩٥٣-١٩٥٤/١٣٣٢-١٣٣٣ ش تأسيس ثلاثة محافل ماسونية: «محفل الواجب» (Dharma) فى باندونج، ومحفل الصداقة (Pamitrian) فى سور ابايا و»محفل فى الخدمة» (Bhakti) فى سمارانج. وفى سنة ١٣٣٣/١٩٥٤ ش قام «الأساتذة الجديرون بالاحترام» فى المحافل الاندونسية الأربعة بتأسيس محفل مركزى باسم «محفل المشرق الأعظم الأندونيسى» -Loge Timur Agung Indonesia فى جاكرتا (Jakarta). وجدير بالذكر أنه على الرغم من أن الشعب الأندونيسى استطاع بعد سنوات من الكفاح المسلح الدامى مع الاستعمار الهولندى أن يطرد الهولنديين من البلاد، استمرت الماسونية الأندونسية فى علاقتها وارتباطها «المشرق الأعظم فى هولندا (Granol Loolge of the Netherlands) ولهذا استدعت «الأستاذ الأعظم» الهولندى التابع لنفس ذلك المحفل الهولندى المركزى حتى تقيم المراسم والشعائر والتقاليد الخاصة بمحفل المشرق الأعظم الأندونيسى الذى تأسس حديثاً بعدها قام نفس السيد بوربونجارا الذى كان قد اختير فى منصب «أستاذ أعظم» لمحفل «المشرق الأعظم الأندونيسى» بفتح القرآن الكريم ووضعه إلى جانب الأنجيل وكان هذا العمل يعنى أن الماسونية تؤمن بكلام الله.

ويجمع الكثيرون من المتخصصين فى تاريخ الماسونية الأندونسية على أنه لم تكن هناك أى علاقة تنظيمية أو رسمية بين «محفل المشرق الأعظم الهولندى» ومحفل «المشرق الأعظم الاندونيسى». لكن الجو السياسى فى اندونسيا بعد الاستقلال كان مناهضاً بشدة للاستعمار ومناهضا لهولندا، وكان الشعب الأندونيسى يرى أن «المشرق الأعظم الهولندى» من مناصرى الهولنديين وعلى علاقة وثيقة بهم. وفى تلك الأثناء كان عدد الماسون الأندونيسيين يصل إلى مائة شخص بينما كان خمسون شخصا منهم أعضاء فى «محفل جاكارتا». فى هذا المحفل كان هناك عدد من الأعضاء كانوا يعدون من كبار رجال الدولة وذوى نفوذ كبير فيها. على سبيل المثال فى سنة ١٣٣٣/١٩٥٤ انضم إلى عضوية هذا المحفل احد الشخصيات القوية الأندونيسية ويرى رآدن سعيد سوكانتو (Rden Said Soekanto-Tjokroadia Tomodya) وكان مديراً للشرطة وبعدها وصل إلى منصب وزير الداخلية. نفس هذا الشخص وصل فى مجال الماسونية إلى منصب (أستاذ جدير بالاحترام) وكذلك «أستاذ أعظم». ومع هذا كله فإن النشاط الماسونى لم يكن يبدو سهلاً إلى درجة، نتيجة لموقعه الغير مناسب الموجود بين شعب اندونيسيا. كذلك واجهت الماسونية مصاعب فى المجال الاقتصادى وظهرت مشاكل وخلافات حول تبعية الأموال الكبيرة جداً وميانى الماسونية الضخمة. وكان الماسون يريدون نقل هذه الأموال إلى المحفل الأعظم الأندونيسى.

ولكن مهما يكن من أمر فإن الشعب الأندونيسى كان يعتبر الماسون أصدقاء للهولنديين، والهولنديين مستعمرين مغتصبين ويرى فى المحفل الماسونى «بيتاً للشيطان». فى النهاية قام سوكارنو رئيس الجمهورية الاندونيسى يوم ٢٧ فبراير ١/١٩٦١ اسفند ماه ه ١٣٣٩ خورشيدى بإعلان عدم قانونية المنفعة الماسونية فى اندونيسيا وقام بهدم «بيت الشيطان»، بحجة أن أساس الماسونية ومنبعها وسندها خارج حدود اندونيسيا وهذه النقطة أو السمة لا تتوافق مع الهوية القومية والوطنية لشعب اندونيسيا. وبهذا أغلق ملف النشاط الماسونى الاندونيسى بعد مائتى عام (٩).

هوامش الفصل التاسع

١- للاطلاع أكثر حول تاريخ اندونيسيا انظر:
Ailsa Zainulddin, Ashort history of Indonesia (N.Y, ١٩٧٠).

٢- Paul w-van der veur, papers in International studies, Sowseart Asia series No. ٤٠ :Freemasory in Indonesia from Radermacher to soekanto ١٧٦٢-١٩٦١, (A Thens, Ohio, U.S.A, ١٩٧٦), pp. ٤-٥.

٣- Jean Gelmacn Taylor, The Soaial World of Batovia: European and Earasian in Dutch Asia (Madison, in Dutch Asia (Modison, Wisconsin, U.S.A, ١٩٨٣), p. ٨٥.

٤- المرجع السابق، ص ٧٨.

٥- للإطلاع على مخططات الاستعمارى الإنجليزى التى قام بتنفيذها «رافلمز» فى اندونيسيا، انظر:
Jahn Bastin, «Raffles and British Paticy in The Indian Archipelago ١٨١١-١٨٧٦», «Journal of the Malayan Branch of the Rayal Asiatic Society ٢٧ (١٩٥٤). ٨٤-١١٩.

٦- للاطلاع حول هذا الموضوع انظر:
D. J. M. Tate, The Making of Modern South east Asia, Vol. one: The European Conquest (N.Y, ١٩٧١), Passim.

٧- Veur, Freemasonry in Indonesia, p. ٢٦.

٨- «ألفا» (Alpha) هو أول حرف فى الأبجدية اليونانية ويعنى «البداية» و«النجم الأول»؛ «أوميجا» (Omega) هو آخر حرف فى الأبجدية اليونانية ويعنى «النهاية» وربما كانت هدف مؤسس هذا المحفل هو أن يكون لهم محفل باسم «البداية والنهاية».

٩- لإطلاع أكثر حول الماسونية فى اندونيسيا انظر:
Veur, Freemasoinly in Indonesia; Taylor, Social world of Batavia, p. ٧٨.